بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وقائدنا ومعلمنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام بعثه الله إمامًا وقدوة وأنزل عليه الفرقان هدى ورحمة للناس وعلى آله الأطهار وأصحابه الميامين الأخيار الذين بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة وجاهدوا في الله حق جهاده إلى يوم الدين .

ماذا عسى أن يقول عبد ضعيف وعقل عاجز في كتاب الله تعالى الخالد المعجزة التي لا تنقضي عجائبها على مر الدهور وتوالي العصور وتجدد الأيام .

وتبقى المعجزة الكبرى للقرآن الكريم خالدة على مر الزمان وتبقى العقول المؤمنة ، زاهرة موصولة بالبيان القرآني المبين حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فقراءة القرآن طاعة كبيرة من أجل الطاعات وقربة من أفضل القربات ، فهو نبراس الحياة وضحاها المشرق، تعيش مع المسلم المؤمن في يومه وغده تهديه أقوم السبل وتنير معالم الطريق وترشد الإنسان إلى السعادة والفلاح وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه المبين : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

---

(١) القيامة: ١٦-١٩.

(١) الإسراء : ٩.

لقد أمرنا الله تعالى في كتابه المبين بترتيل الكتاب المقدس ، فقال مخاطبًا رسوله الأمين: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [1]، واستجابة لأمر الله تعالى عكف الرسول الكريم على دراسة القرآن الكريم أداءً وتطبيقًا متبحرًا في علومه داعيًا أمته إلى الأخذ من هذا – المنهل المثمر بقوله عليه الصلاة والسلام : «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» [2]، وفي رواية أخرى : «**خيركم من قرأ القرآن وأقرأه**» [3]، فقد دعا الرسول الأمين المسلمين إلى تجويد القرآن وتعلم أحكامه، فأخذ الأحكام والقراءة كما أنزلها الحق سبحانه وتعالى على قلب النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وكما توارثها العلماء العاملون كابرًا عن كابر وتعلقًا بقراءة القرآن الكريم منهجًا وتصويرًا فحققوا للأمة الخير والسعادة في الدنيا والآخرة .

لقد نقلت لنا السنة المطهرة أن قراءة النبي ﷺ كانت مرتلة لامذًّا ولا عجلة. بل كانت قراءة مفسرة حرفًا حرفا ، وأنه كان يقطع قراءته آية آية فيعطي حق المد والأحكام ويوصي أصحابه بذلك ففي صحيح ابن خزيمة من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا : «**إنّ الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل**»[4] .

حث القرآن الكريم على القراءة :

فقد وردت في القرآن قرابة تسعين مرة وأن الكتابة وما اشتق منها وردت نحوًا من ثلاثمائة مرة، وأن أول ما نزل من الوحي هو (اقرأ) ، وفيها تمجيد من الحق تبارك وتعالى للقلم وكونه علم به الإنسان ما لم يعلم ثم أقسم في آيات أخرى

(١) المزمل : ٤.

(٢) البخاري : (٢/ ٢٣٦) دار الشعب ، انظر سنن الترمذي رواه في سننه رقم (٢٩٠٨) مصطفى البابي الحلبي – القاهرة .

(٣) المعجم الكبير : (١٠/ ١٦٢) رواه الطبراني – طبع وزارة الأوقاف العراقية .

(٤) أورده السيوطي في كتابه : جمع الجوامع (١/ ١٨٤) وعزاه إلى كتاب الإبانة لأبي نصير السجزي. طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

بـ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [1]، ومن أولى ثمرات القراءة والأداء المحكم الفهم والتدبر، لأن ألفاظ القرآن الكريم إذا أعطي حق أدائها وقواعد ترتيلها جليت بالأصوات العذبة الطيبة. فهذه هي معجزة القرآن الخالد الذي تعهد الله جل جلاله أن يحفظه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [2].

القرآن كلام الله ، المتلو آناء الليل والنهار، وقد أعجز الجن والإنس لا يقدرون على أن يأتوا بسورة مثله، بل لا بآية ، وكل معجزات الأنبياء عليهم السلام انقطعت بموتهم إلا معجزته ﷺ ، وانشق القمر كما نطق به القرآن. وصح من طرق وكلمه الضب ، كما رواه الحاكم في صحيحه [3].

وأوصى كل من يريد القراءة والتعليم لهذا العلم الكريم أن يبادر إلى رجل عالم وحافظ ومتمرس بالأداء النظري والعملي وأخذ هذا العلم بالمشافهة عن أهله. ومن هذا المنطلق قد وفقني الله جل جلاله أن أكون من الذين أنعم الله عليهم بالقراءة وأن أكون من أحد المقرئين الذين يتلون كلامه ويعلمون أحكامه فتوجهت إلى هذا القرآن العظيم وأن أكتب في فن رفيع يتمثل في أحكام التلاوة والتجويد فكان موضوع رسالتي هذه هو الذي بين يدي القارئ الكريم: (مصطلح الأداء القرآني عند علماء التجويد) والذي أرشدني إليه الأستاذ الفاضل الدكتور : عدنان محمد سلمان. إن اختياري لهذا الموضوع جعلني أحيط بهذا العلم الجليل. وأن أجمع بين الجانب النظري والعملي وتسخيره للقارئ الكريم الذي يريد أن يتعلم أحكام التلاوة وأصولها .

(١) تاريخ القرآن : ٣٧ ، دكتور / عبد الصبور شاهين – دار القلم ، ١٩٦٦ .

(٢) الحجر : ٩ .

(٣) تاريخ الدور السافر عن أخبار القرن العاشر: ١٠ ، تأليف : محيي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٩م.

وعلى الرغم من سعة الموضوع وتشعبه في أمهات الكتب، اقتضت طبيعة بحثي هذا بعد أن أكملت جمع المادة أن أقسمه على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : جعلته في مخارج الأصوات اللغوية وصفاتها وتحدثت فيه عن آلة النطق والمخارج والصفات وبينت ذلك من خلال علماء العربية والتجويد في بيان الصفات المتضادة والصفات التي لا ضد لها وصفات المجموعات وصفات الأصوات المنفردة. وقد أخذنا في دراستنا بنظر الاعتبار آراء العلماء المحدثين ولما أثبتته التجارب العلمية والدراسات الصوتية من خلال الأجهزة المتطورة والحديثة والمبرمجة بأحدث التقنيات في المختبرات الصوتية المتطورة في الجانب التطبيقي العملي وهذا ما تعرفت عليه خلال زيارتي لجامعة المِرتا في كندا أدمنتن في هذا العام . فالدراسات الصوتية بحاجة ملحة إلى مثل ذلك.

أما الباب الثاني: فجعلته في التعامل الأدائي والمتمثل في الجانب التطبيقي والأدائي في الإظهار والإخفاء والإدغام والإقلاب والتفخيم والترقيق والمدود وتمثلت الدراسة بشكل عام لإعطاء حق ومستحق كل تعامل أدائي متمثل بجميع جوانب التفاعل والتعامل الأدائي، حيث شملت الدراسة التعاملية نهجًا مختلفًا عما كتب وألف في كتب التجويد، فأخذت الإظهار مثلاً وشرحت كل الجوانب المتعلقة في التعامل الأدائي وعدم تجزئته كما هو معمول في الكتب الحديثة والقديمة ، فكانت الدراسة شاملة وواسعة لكل مصطلح تعرضنا إليه. وإني أرى في هذا الباب أن في لغتنا العربية ميزانًا روحيًا وزن علماء التجويد والنحوية الحروف والكلمات وزنًا كاملاً فلكل مخرج وزن ولخاتمته لها وزن أيضًا .

وقد تجلى هذا العلم قانونًا لا يستطيع قارئ أن يخرج عنه ، ولا يخفى على العالم والقارئ اللبيب لاسيما المختص بهذا العلم المبارك .

أما الباب الثالث : فجعلته في دراسة الكليات الأدائية العلمية المتمثلة بأحكام التلاوة والتجويد ، وقد صعب جمعها بشخصية متحدة مستقلة واحدة ، لذا جمعتها وقسمتها على مصطلحات كما ذكرها علماء التجويد أخذين بنظر الاعتبار المعني اللغوي والاصطلاحي لكل مصطلح.

ومن يتدبرها يجد لهذا العلم حالة من السمو الفائق والواسع فقد شمل هذا الباب دراسة لكل مصطلح من المصطلحات المتمثلة بالأداء والترتيل والتجويد والتغني والتطريب والإمالة والإشمام والإنصات والاستماع والوقف وإلى غيرها من مصطلحات هذا الباب التي ذكرتها وبينتها لتكون روافد في هذا العلم الجليل والمتمثل بقراءة القرآن الكريم وما يترتب عليه .

وللتلاوة أصول وقواعد تلقاها المسلمون الأولون من الرحمة المهداة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا متوارثة ومتناقلة من جيل إلى جيل. فتعلم الخلف من السلف بالمشافهة والتطبيق الأدائي العملي . فقد اتضح لنا أن علم التجويد علم مستقل يوازي بقية العلوم فهو علم هندسة وصنعة وهو فن بديع جميل يؤديه الماهر الضابط المجود الحادق لا يعرفه إلا أهل الصنعة، يحتاجه القارئ والإمام والخطيب والشاعر والمذيع والمعلم ، بل أقول يحتاجه كل من ينطق بالعربية ن فهذا العلم لا يقتصر على قراءة القرآن ومن أتقنه يزد قراءته جمالاً ورونقًا وحلاوة وطلاوة.

وقد تبين لي أن هذا العلم بحاجة ماسة إلى التوسع في المجال التخصصي فالرسالة لا تكفي لتسليط الضوء على إعطاء حقه ومعناه .

فالتجويد كان ملازمًا للقرآن الكريم منذ اللحظة الأولى التي نزل بها الأمين جبريل عليه السلام عند تلقيه القرآن الكريم وتعليمه لرسولنا الكريم عليه الصلاة

والسلام مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1].

إن مهمة علم التجويد تتوقف على أمور مهمة وبالغة المعنى فيجب أن يكون القارئ عالمًا في اللغة والبلاغة وأن يستوعب أحكام التلاوة ويفهم ويدرك معنى الوقف والابتداء لكي يتعامل مع الأداء العملي وإعطاء حقه ومستحقه فعندما يفهم النص القرآني فهمًا سليمًا ورفيعًا يعطي حق القراءة بأسلوب فني وإبداعي وتصويري يوصل القراءة إلى قلوب المستمعين يعطي حق السؤال والاستفهام وإلى غير ذلك. فيصور الجنة والنار ويتفاعل مع القراءة تفاعلاً تصويريًا يشد السامعين ويجذبهم بأسلوبه القادر والمؤثر فإيصال المعنى للمستمع يبدع بها القاري المتقن فعند قراءة قوله تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ ﴾[2]، نرى كيف يتعامل بها القارئ أثناء تلاوته ويعطي حق «ما فرطتم» غير الاستفهامية .

فهذا يتحقق كله عن طريق العلم والدراسة والمثابرة والتلقي على أيدي الأساتذة والعلماء والمشايخ الفضلاء بالتلقي والمشافهة والضبط حتى نصل إلى ما نصبوا إليه من خلق جيل قرآني متعلم ومتمرس بالقراءة والترتيل والتجويد.

ومن خلال دراستي لهذا العلم المبارك اتضح لي أن هذا العلم الأدائي والعملي بحاجة ملحة إلى فتح باب النقد الإقرائي كما هو معمول في النقد الأدبي والشعري والموسيقي وغيره وهذا الباب مهم وعامل في بيان الجانب الإيجابي والسلبي عند المقرئين ، وبهذا سيكون النقد الإقرائي مهمته تصحيحية نموذجية في الجانب التطبيقي والعملي .

وفي الخاتمة أوجزت أهم ما توصلت إليه في هذا البحث المبارك أما المصادر التي أفدت منها في دراستي هذه ففي طليعتها كتب التجويد وعلومه إضافة إلى

(١) المزمل: ٥.

(٢) يوسف : ٨٠.

كتب النحو واللغة قديمها وحديثها وسيجد القارئ الكريم جميع المصادر في نهاية هذه الرسالة .

إضافة إلى ما اطلعت عليه من وسائل سمعية ونظرية وصورية عند زيارتي لجامعة ألبرتا – كندا أدمنتن .

وإنني إذ أتقدم بهذه الرسالة لابد أن أذكر دور أستاذي الفاضل المشرف الدكتور حسام سعيد النعيمي الذي أكرمني بعنايته ورعايته وتوجيهه فضلاً عن الصبر على متابعته لهذه الرسالة حيث وجدت فيه أخًا وصديقًا لم يبخل على بشيء مما احتجت إليه طوال عملي في كتابة هذه الرسالة . فأدعوا الله تعالى أن يطيل عمره ويبارك مسعاه فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء .

وأتقدم بالشكر والامتنان إلى شيخي وأستاذي الفاضل الشيخ جلال الدين الحنفي البغدادي الذي لازمته عام ١٩٧٦ فدرست على يديه وتعلمت منه الكثير من علم التجويد ومهارة التطبيق والأداء فكان نعم الأب والمعلم والشيخ فجزاه الله خير الجزاء .

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الدكتور عبد المنعم أحمد صالح عميد كلية العلوم الإسلامية وإلى كل أساتذتي الأفاضل في الكلية والذين تعلمت منهم ودرست عليهم والذين مهدوا لي سبل الطريق المتواصل إلى هذا البحث .

وأتوجه بالشكر والعرفان إلى الشيخ صبحي السامرائي الذي أمدني بالعديد من المصادر التي سهلت أمامي عمل هذا البحث إذ جعل مكتبته تحت تصرفي ولم يبخل عليّ بأي كتاب كما أحب أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الباحث اللغوي الأستاذ محمد جواد الغبان الذي استفدت كثيرًا من مكتبته العامرة بأمهات المصادر التي أغنت بحثي وأرى لزامًا على أن أتقدم بخالص شكري واعتزازي وتقديري إلى من قدم لي المساعدة والعون في بلدي العراق وخارجه ولاسيما

الدكتور جون هوكين أستاذ الصوتيات في جامعة ألبرتا – كندا – أدمنتن الذي أفادني بالشرح الوافي حول مخارج وصفات الحروف والسيدة جيهان البياتي التي ساعدتني على الترجمة والكتابة . وفق الله وأمدهم بالخير والسعادة والتوفيق إنه على ما يشاء قدير .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان والامتنان إلى أستاذي المرحوم عبد الفتاح معروف الذي استفدت منه خلال مرحلة تعلمي فن القراءة في جامع الخلفاء والمقرئين الأفاضل الحافظ خليل إسماعيل والحافظ المرحوم صلاح الدين والحافظ علي حسن داود والسيد نجم الدين النعيمي جزاهم الله عني خير الجزاء .

وإذ أتقدم بهذه الرسالة القرآنية أقول إن الكمال لله تعالى وحده ، ولا يدرك الإنسان هذه الغاية فقد بذلت كل جهدي من أجل إعداد هذه الرسالة أقول ... إن أخطأت فسبحان من لا يخطئ وإن أصبت فما توفيقي إلا بالله العزيز القادر عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون .

ضاري إبراهيم العاصي